

زيارة الأربعين.. والآثار المترتبة على الزائرين عند
تركهم العمل بالاولى

م.د. حسن جابر العطا، ماجد عبد السلام البكر

Hassan.jaber2020@gmail.com

ماجد عبد السلام البكر،

majiduk1992c@gmail.com

أ. د. فيصل غازي محمدكلية العلوم، جامعة بغداد

faiselgm73@gmail.com

المستخلص

يتناول هذا البحث مفهوم «ترك العمل بالأولى» ضمن سياق زيارة الأربعين، بوصفه حالة دقيقة في المنظومة الأخلاقية الإسلامية، لا يرقى إلى مرتبة المعصية ولكنها تكشف عن عمق في الوعي الديني والتكليف الروحي. استعرض البحث المعنى الشرعي والأخلاقي للعمل بالأولى، وتمييزه عن الحلال والحرام، ويبيّن كيف يكون تركه مؤشراً على تفاوت في مدارج القرب من الله، خاصة عند عباده المقربين.

من خلال تحليل قرآني وروائي لمسيرة الأنبياء، يظهر أن ترك الأولى رغم عصمتهم كان سبباً في ابتلاءات كبرى لهم، مما يدل على أن العمل بالأولى هو معيار دقيق للارتقاء الروحي. وجرى بحث هذا المفهوم على سلوك زوار أربعينية الامام الحسين (عليه السلام)، فتمّ تفصيل الآثار التربوية، والسلوكية، والاجتماعية التي تترتب على ترك الزائرين لما هو الأفضل شرعاً في سياق الزيارة، كالتكاسل عن أداء الصلاة، أو ضعف في الإيثار، أو تغليب الراحة على العطاء والمشاركة الفاعلة.

يهدف البحث إلى إبراز كيف يمكن لهذا المفهوم، رغم بساطته الظاهرية، أن يصنع الفارق بين من يؤدي الشعائر بشكل شكلي، ومن يتقرب بها إلى الله بقلب واعٍ وروح نقيّة، وأن يُعيد ترتيب سلم الأولويات في مسيره مع الحشود المليونية لزيارة الاربعين بما يعزز المقصد الحسيني الأصيل في الإصلاح والوعي والتغيير.

الكلمات المفتاحية: زيارة الاربعين ترك العمل بالأولى الحشود المليونية البعد

المعرفي الثورة الحسينية

Arbaeen Pilgrimage and the Consequences for Pilgrims When Neglecting What is

Religiously Preferable

Asst.Prof. Hassan Jaber Al-Atta

Majid Abdulsalam Al-Bakr

Prof.. Faisal Ghazi Mohammed

Abstract

This study addresses the concept of” abandoning the preferable act“ within the context of the Arbaeen pilgrimage ,considering it as a subtle element of the Islamic ethical system .It does not amount to sin ,yet it reveals a profound dimension of religious consciousness and spiritual duty .The research explores the legal and moral meaning of adhering to the preferable act ,distinguishes it from the lawful and unlawful ,and shows how neglecting it indicates varying degrees of closeness to God, especially among His devoted servants.

Through Qur’anic and narrational analysis of the lives of the prophets, it becomes evident that abandoning the preferable act—despite their infallibility—was a cause of great trials for them .This highlights that adhering to the preferable act serves as a precise criterion for spiritual ascension .The study further applies this concept to the behavior of the pilgrims of Imam Hussein’s Arbaeen ,detailing the educational ,behavioral, and social consequences of neglecting what is religiously preferable during the pilgrimage ,such as neglecting prayer ,showing weakness in altruism ,or prioritizing comfort over giving and active participation.

The research aims to demonstrate how this concept ,despite its apparent simplicity ,can distinguish between those who perform rituals merely formally and those who approach God through them with conscious hearts and pure souls .It also seeks to reorder priorities along the millions-strong march of the Arbaeen pilgrimage in a way that reinforces the authentic Husayni purpose of reform ,awareness ,and transformation.

Keywords :Arbaeen pilgrimage ,abandoning the preferable act ,million-strong crowds ,cognitive dimension ,Husayni revolution

المبحث الأول:

البعد المعرفي لمصطلح (العمل الأولى) وأثره في السياق الشرعي

المطلب الاول / تعريف " العمل الأولى " ومكانته في المنظومة الأخلاقية

الإسلامية يُعدّ «ترك الأولى» من المفاهيم الدقيقة والعميقة في الأخلاق الإسلامية، وهو لا يعبر عن التمييز بين الحلال والحرام أو بين الصواب والخطأ، وإنما يتعلّق بالتمييز بين ما هو جائز ومستحب وما هو أفضل وأكمل من الناحية الشرعية والأخلاقية. فالمرء قد يكون أمام خيارين كلاهما مباحان أو مشروعان، لكن أحدهما يحمل مستوى أعلى بالقرب إلى الله تعالى، أو أثراً أنفع في المجتمع، أو سلوكاً أنقى من حيث المقاصد والنوايا، فاختياره يُعدّ «ترك الأولى»، وتركه يُسمّى «ترك الأولى».

مكانته في المنظومة الأخلاقية الإسلامية :

١. علامة دقة البصيرة : العمل الأولى ليس فرضاً ولا واجباً في الظاهر، لكنه يُظهر دقة الفهم وعمق البصيرة، ويعبر عن ارتقاء الفرد في سلّم الكمال الإيماني.
٢. من أخلاق الأنبياء والأولياء : ورد في السيرة النبوية وسيرة الأئمة عليهم السلام الكثير من المواقف التي اختاروا فيها الأولى دون أن يكون عليهم إلزام، بل كانت تعبيراً عن سموهم الأخلاقي. جزء من التقوى المتقدمة (تقوى القلوب) - يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ و«العمل بالأولى» هو من مصاديق هذه التقوى الباطنية التي لا يطلع عليها الناس، لكنها تعكس مستوى الإخلاص والنية.
٣. يُؤسس للتمييز بين "العدالة" و"الفضيلة" فالعدالة تعني الالتزام بالواجبات وترك المحرّمات، أما الفضيلة فتبدأ من العمل الأولى، أي فعل الأفضل رغم أنه غير مُلزم.

٤. أساس في تهذيب النفس وترقية السلوك : فترك العمل بالأولى قد لا يُحاسب عليه الإنسان شرعاً، لكنه مؤثر على قصور في فهم مقاصد الشريعة أو ضعف في إرادة الكمال.
٥. ينمّي الشعور بالمسؤولية الشرعية تجاه الموقف والسياس : أي أن الإنسان حين يراعي الأولى، فهو لا يتصرّف فقط وفق ما هو جائز، بل وفق ما هو أنسب للزمان والمكان والأثر.

المطلب الثاني : توضيح معنى «ترك الأولى» باعتباره تخلياً عن الخيار الشرعي الأفضل مع بقاء الفعل الآخر جائزاً.

يُعدّ «ترك الأولى» من المفاهيم الدقيقة في المنظومة الأخلاقية الإسلامية، وهو يعكس حساسية الشريعة تجاه مراتب الفعل الإنساني، لا من حيث الحلال والحرام فقط، بل من حيث درجات القرب من الله تعالى ودرجات الكمال الأخلاقي . فحينما يُقال عن شخصٍ ما إنه «ترك الأولى»، لا يعنى بذلك أنه ارتكب ذنباً أو وقع في مخالفة شرعية، بل يُشار إلى أنه قد فوّت على نفسه سلوك المسار الأكمل، أو القرار الأقرب إلى الفضيلة، أو الموقف الأكثر مطابقة للنية الخالصة والمقصد الأسمى في الشريعة. الأولى في اللغة تعني الأفضل، أو الأنسب، أو الأرجح، لكنها في السياق الفقهي والأخلاقي تدل على الفعل الذي هو أقرب إلى رضا الله، وأكمل من حيث التأثير أو النية أو المآل . أما ترك الأولى، فهو أن يفعل الإنسان أمراً جائزاً أو مباحاً، لكنه بذلك يكون قد أعرض عن فعلٍ أنسب منه في ميزان القرب، أو التأثير، أو التقوى . وهذا الترك لا يُحاسب عليه الإنسان كترك الواجب أو فعل المحرم، لكنه يُنظر إليه كدرجة أدنى في سلّم الترقي الأخلاقي والروحي، ولذلك كان الصالحون من أهل السير والسلوك يحاسبون أنفسهم على ترك الأولى، كما يُحاسب العامة أنفسهم على ارتكاب المعاصي.

إن هذا المفهوم يبرز الفارق بين من يلتزم حدود الشريعة من باب الخوف، ومن يطلب وجه الله من باب الحب والرقي. فالمؤمن الكامل لا يسأل فقط: «هل هذا الفعل حلال؟»، بل يتجاوز ذلك إلى أن يسأل: «هل هذا الفعل هو الأقرب إلى الله؟ هل هو الأنفع لعباده؟ هل فيه نية خالصة أم حظ للنفس؟»، ومن هنا يتشكل الوعي بمرتبة "الأولى".

ترك العمل بالأولى يظهر عادة في اللحظات التي يكون فيها الإنسان بين خيارين كلاهما جائز شرعاً، لكن أحدهما أنفع، أو أرحم، أو أعمق أثراً. فأن يختار الفعل الجائز دون الأفضل، فهذا يعني أنه اختار الراحة على التضحية، أو السلامة على الشجاعة، أو المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، أو التردد على الحسم، دون أن يخرج بذلك من دائرة الجواز، لكنه خرج من دائرة التفوق الأخلاقي. ومما يُعبر عن دقة هذا المفهوم أن كثيراً من أفعال الأنبياء والأئمة عليهم السلام نوقشت في كتب العقيدة والفقهاء من باب: هل ما فعلوه كان هو الأولى، أم أن تركهم لما هو أولى كان له مصلحة أعلى، أو حكمة مستترة؟ وهذا يدل على أن «الأولى» ليس مسألة شكلية، بل جوهرية في منطق السلوك الإسلامي.

ومن هنا يمكن القول إن ترك العمل بالأولى لا يعني دائماً التهاون، بل قد يُمارَس أحياناً عن قصد، إذا تعارضت الأولى الفردية مع مصلحة عامة، أو كان في الإعراض عنها حكمة أعمق، كما في حالات المداراة، والتأليف، ودرء المفاسد، مما يُظهر توازن الشريعة بين المبادئ والواقع. إن استحضار هذا المفهوم في حياة المسلم، وخاصة في الشعائر الكبرى كزيارة الأربعين، يعني أن الزائر لا يكتفي بمجرد أداء المناسك أو الالتزام الظاهري، بل يراقب نفسه في اختياراته الدقيقة، ويفضّل ما هو

أقرب للنية الصادقة، والرحمة، والتواضع، والإيثار، على ما هو جائز لكنه أقل أثرًا. فبذلك يتحوّل سلوكه من مجرد التزام ظاهري إلى سفر نحو الكمال الأخلاقي، وسيرٍ روحيٍّ يقربُه من حقيقة الحسين (عليه السلام).

| الجانب | العرام | ترك العمل بالأولى |
|------------------|-----------------------|---|
| التقييم الشرعي | معصية تستوجب التوبة | ليس معصية لكنه تفويت للفضيلة |
| الأثر الروحي | يوجب البعد عن الله | يُفوّت درجة أعلى من القرب |
| موقعه في الأحكام | ضمن دائرة العرام | ضمن دائرة المباح لكن دون الأكمل |
| أمثله | الغيبة، الكذب، السرقة | الكلام المباح بدلاً من الذكر، تقديم الراحة الشخصية على خدمة الآخرين |

تهتم الشريعة بهذه الدرجة من التفصيل لأن الهدف من الشريعة ليس فقط الامتناع عن الحرام، بل تحقيق الكمال في السلوك الإنساني، وإبراز الروح الأخلاقية في كل التفاصيل. والإنسان الكامل هو من لا يكتفي بالواجب، بل يسعى لما هو أقرب إلى الله، حتى في المباحات.

المطلب الثالث : الفرق بين المعصية وترك العمل بالأولى، مع أمثلة قرآنية (قصة النبي آدم، يونس، يوسف، موسى).

إنّ (ترك الأولى) من قبل الأنبياء أو الأولياء قد يكون سبباً في أن يُبتلوا بابتلاءات شديدة، لا عقوبةً على ذنب، بل لأن مقامهم الرفيع عند الله يستوجب منهم التزاماً دقيقاً بأعلى درجات الطاعة والسلوك، فيؤاخذون بما لا يؤاخذ به غيرهم. فالأنبياء، بما أوتوا من مكانة ووعي ووعي رسالي، لا يكونون في مأمن من الحساب الإلهي إن هم تخلّفوا عن الفعل الأكمل، وإن لم يقعوا في معصية صريحة. والقرآن الكريم يذكر

شواهد لذلك في قصة آدم وقصة يونس عليه السلام، حيث لم يكونا في معصية مطلقة، لكن ترك الأولى كان كافياً ليعرضنا للابتلاء الشديد.

أما الذين يدركون ما صدر منهم من ترك الأولى فيرجعون إلى الله ويطلبون مغفرته، فتقبل توبتهم ويبدل حالهم، كما حدث مع نبي الله موسى عليه السلام حين قتل الرجل القبطي، فشعر بثقل ما بدر منه رغم أنه لم يكن قتلاً عن سبق إصرار، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾، وهو اعتراف ضمني بتركه للأولى، لا لارتكابه معصية محظورة.

فالأنبياء كلما عظمت منازلهم الربانية، تضاعفت مسؤولياتهم تجاه الناس، واشتدت دقة الحساب الإلهي لهم. فترك الأولى بالنسبة لهم يعدّ بمنزلة الذنب الكبير لو صدر من شخص عادي، وهذا في الحقيقة تجلٌّ من تجليات عدالة الله، الذي يزن الأمور بمقدار العلم والمقام. ولهذا ترى أنهم كثيراً ما يسارعون إلى التوبة والاستغفار، رغم أنهم لم يقعوا في خطيئة شرعية، وإنما لأنهم يدركون حساسية موقفهم أمام الله.

وفي هذا السياق، نجد أن ما ورد في الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى يحمل تصوراً مختلفاً؛ إذ تُصوّر خطيئة آدم كأنها معصية عظيمة، بل نوع من التحدي للإرادة الإلهية، وتطاول على مقام الربوبية نفسه! لكن المصادر الإسلامية، سواء في المنقول أو المعقول، تنفي هذا المعنى، وتؤكد أن الأنبياء منزّهون عن المعصية المطلقة، ولا يمكن أن يُعهد إليهم منصب الهداية مع ارتكابهم للذنوب.

ومن هنا نفهم أن ما نُسب إلى الأنبياء في القرآن الكريم من «عصيان» إنما هو بلحاظ المقام الرفيع، أي أنه عصيان نسبي لا عصيان مطلق. فالمعصية نوعان: الأولى هي المعصية المطلقة، وهي مخالفة صريحة للأوامر والنواهي الإلهية القطعية، وتشمل ارتكاب المحرّم أو ترك الواجب. أما المعصية النسبية، فهي أن يأتي شخص عظيم بفعل ليس محرّماً، لكنه لا يليق بمقامه الرفيع.

كمثال توضيحي لفكرة «ترك الأولى»، تخيل رجلاً ثرياً مؤمناً قدّم صدقة بسيطة لفقير محتاج، رغم قدرته على تقديم المزيد. ما فعله لا يُعد خطأً شرعياً، بل يُحسب له من حيث الأصل، لكنه قد يُلام اجتماعياً لأنه لم يُعط بما يتناسب مع إمكانياته ومقامه. وهذا يشبه تماماً ما يحصل مع الأنبياء والأولياء، فأفعالهم تُقاس دائماً بما يليق بمكانتهم العالية، لا بما يُقبل من عامة الناس.

من هنا، يمكن القول إن سلوكيات العظماء لا تُحاكم بمقاييس العامة، بل تُوزن بموازين المقام الذي بلغوه. فقد تُعد صلاة أحد الناس عميقة وخاشعة، لكنها لو أُديت بنفس الشكل من قبل أحد أولياء الله وفيها لحظة غفلة، فإنها تُعتبر تقصيراً في حقه، لأنها لا تليق بمن كان قريباً من الحضرة الإلهية.

والسبب في ذلك أن القرب من الله يقتضي حضوراً قلبياً متواصلاً في العبادة، وتوجّهاً لا ينقطع نحو جلاله وجماله. من هم في هذا المقام يجب أن يكونوا في حالة صفاء روحي مطلق، لا يُعكرها التفات لغير الله ولو لحظة. وهذا المعيار لا يُطبق على العبادات فحسب، بل يشمل كل جوانب الحياة من أقوال وأفعال. ولهذا، فعندما يقع أحد الأنبياء في «ترك الأولى»، يُعاتب من الله، لا لأنه ارتكب محرماً، بل لأنه اختار المفضول وترك الأفضل. وتُعتبر قصة آدم (عليه السلام) أوضح مثال على ذلك. فما صدر منه لم يكن معصية كما يتصوّر البعض، بل كان تصرّفاً لا ينسجم مع موقعه الروحي، خاصة وأنه كان لا يزال في مرحلة تجريبية تمهيداً لنزوله إلى الأرض، ولم يكن قد دخل بعد في مرحلة التكليف الشرعي الكامل. والأمر الإلهي له لم يكن نهياً تحريمياً، بل كان توجيهاً إرشادياً، فيه تحذير من عاقبة الأكل من الشجرة: الشقاء. أما ما حدث مع موسى (عليه السلام) عندما قتل الرجل القبطي، فليس إلا من قبيل ترك الحذر. لم يكن

فعله معصية، لكنه لم يكن الأنسب لمقامه؛ إذ كان من الأولى أن يتحقق ويتروى. ولما استشعر ذلك، توجه فوراً إلى ربه معترفاً فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

هذا الاعتراف لم يكن على ذنب بالمعنى الفقهي، بل على تقصير في اختيار الأفضل. والله، بلطفه، استجاب، وغفر له. وحين نجّاه، عبّر موسى عليه السلام عن امتنانه فقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾، وأضاف عهده الجديد: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾، أي أنه لن يكون عوناً للظالمين أبداً، بل سيكون نصيراً للمستضعفين والمؤمنين.

وهذا المنهج ذاته نجده في قصة زكريا عليه السلام، الذي طلب علامة تؤكد له تحقق وعد الله. طلبه هذا لم يكن خطأً، لكنه لم يكن أولى، فكان من الأفضل له أن يسلم بوعده الله دون طلب آية. ولذلك، جاءه الجواب الإلهي بعلامة عظيمة، تحمل في طياتها إشارة إلى أن الطلب رغم مشروعيته لم يكن الخيار الأنسب. ونفس النمط يظهر في الخطاب الموجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ هذه الآية لا تعني أن النبي دافع عن خائن والعياذ بالله بل هي توجيه تربوي له ولكل من يتولى منصب الحكم والقضاء، بأن لا يقعوا في هذا الموقف أبداً.

وفي آية أخرى، يوجّه الله سبحانه نبيه الكريم ﷺ إلى الاستغفار، في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾. وقد تنوّعت تفسيرات العلماء حول سبب هذا التوجيه. فبعضهم يرى أن الأمر بالاستغفار جاء بسبب استعجالٍ وقع في إحدى القضايا التي عُرضت على النبي، حيث أصدر حكماً مبنياً على المعطيات الظاهرة، التي كانت بحسب الظاهر كافية، إلا أن مقامه العظيم يقتضي التريث والتثبت بدرجة أعلى من سائر الناس، وهو ما يُعبّر عنه بـ «ترك الأولى».

ورأي آخر في التفسير يرى أن النبي ﷺ حكم وفقاً لما ظهر له من دلائل وشهادات، وقد كانت تلك الأدلة لصالح من اتضح لاحقاً أنهم خائنون. وبعد أن كُشف الحق، وأُعيد إلى صاحبه، جاء الأمر الإلهي بالاستغفار. وليس في ذلك إشارة إلى ذنب ارتكب، وإنما استغفار من نوع خاص، يتعلّق بمقام النبوة، حيث يُعاتب النبي إن تعرض أحد المؤمنين للظلم، ولو بسبب حيلة الخائنين. ولا شك أن النبي، بحكم عصمته، لم يقع في ذنب قط، بل هذه الأمور هي مما يُعدّ من «ترك الأولى» في حق أهل المقامات العظمية، ممن تكون حسنات غيرهم بمثابة تقصير في حقهم. ومن جهة أخرى، فإن مثل هذه الآيات تُبرز عظمة النبي باعتباره قدوة، وتُعلّم الأمة كيف تتعامل مع المسؤولية والعدل، لا أنها تنسب له ذنباً.

وفي هذا السياق، يروي أبو حمزة الثمالي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه كان ذات صباح من يوم الجمعة في المدينة، وقد صَلَّى صلاة الفجر خلف الإمام، ثم رجع معه إلى بيته. وهناك، أوصى الإمام جاريته «سكينة» قائلاً: «لا يمرّ سائل على بابنا اليوم إلا أطعمته، فإن اليوم يوم الجمعة». فقال له أبو حمزة: «ليس كل من يسأل يكون مستحقاً»، فأجابه الإمام بجواب يكشف عمق نظره إلى المسؤولية الإنسانية

والروحية، قال: «يا أبا ثابت، أخشى أن يكون أحدهم محققاً فنرده، فيحلّ علينا ما نزل بيعقوب وآله». ثم روى له قصة يعقوب عليه السلام، الذي كان يذبح كل يوم كبشاً، يتصدّق بجزء منه ويأكل مع عياله ما تبقى. وفي إحدى الليالي، عند الغروب، طرق بابهم سائلٌ غريب، صائم، يطلب طعاماً. نادى مراراً، ولم يلتفت إليه أحد، فغادر وهو جائع، مكسور القلب. وبتلك الغفلة، وقعت الواقعة.

فأوحى الله إلى يعقوب في صباح اليوم التالي مؤنباً: لقد أذلت عبيدي، وحرمته من فضل طعامك، وقد كان عبداً صالحاً، صائماً، حامداً لله، وكان يستحق العطاء. ثم قال الله له: «يا يعقوب، إن أحب أنبيائي إليّ هم الذين يرحمون فقراء عبادي، ويقربونهم إليهم، ويجعلون لهم مأوى وسنداً».

ثم أشار الوحي إلى اسم ذلك السائل المؤمن، وقال ليعقوب: «أما علمت أن البلاء ينزل على أوليائي أسرع من نزوله على أعدائي؟» ويكمل الإمام زين العابدين عليه السلام القصة بقوله: إن تلك الليلة، هي ذاتها التي رأى فيها يوسف عليه السلام رؤياه.

وهذا الحديث النبيل يُبرز لنا كيف أن زلّة بسيطة، لا تُعدّ ذنباً بمقاييس عامة الناس، تُعتبر مؤثرة وخطيرة حين تصدر من نبي أو ولي. فما فعله يعقوب لم يكن معصية، بل تركاً لما هو أولى، ومع ذلك ترتّب عليه بلاء شديد ومحنة طويلة، كلّ ذلك لأن موقعه في المسؤولية يفرض عليه أن يكون أكثر يقظة لحاجات الناس وآلامهم. فإن كانت هذه المؤاخذة الشديدة وقعت ليعقوب عليه السلام مع نبل مقامه بسبب عدم انتباهه إلى سائل مؤمن، فكيف الحال في مجتمعات يُترك فيها الفقراء جوعاً، بينما يعيش آخرون في رفاه زائد؟ كيف يسلم من غضب الله مجتمعٌ يئنّ فيه الجائع، بينما تُهدر النعم على موائد الترف؟

وقد أشارت بعض الأحاديث إلى أن محنة يعقوب في فقد ولده يوسف عليه السلام كانت نتيجة لهذا الموقف بالذات، إذ تُعدّ مؤاخذه على تلك الغفلة، لا باعتبارها ذنبًا، بل لتناسبها مع مقام يعقوب وما ينبغي له من إحاطة بأحوال المحتاجين. وهذا ينسحب كذلك على نهي الله لآدم عليه السلام عن الأكل من الشجرة، فقد كان ذلك النهي إرشاديًا، لا تحريميًا. ومع ذلك، فإن مخالفة هذا النهي باعتبار مقام آدم عدت أمرًا عظيمًا، واستوجبت التوبة والمؤاخذه، لأن «ترك الأولى» من أصحاب المقامات العظيمة لا يُغتفر كما يُغتفر لغيرهم. (٢) (الحويزي، (د.ت)، ص. ٤١١).

عندما أدرك يوسف عليه السلام أن رفيقيه في السجن على وشك المغادرة، وقد فهم من الرؤيا أن أحدهما سيطلق سراحه ويعود إلى خدمة الملك، رجاه أن يذكره عند سيده، فقال له: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾. لقد كان هذا الطلب بُغية أن يأتي يومٌ يكشف فيه الظلم عنه وتُبرأ ساحته من التهمة التي أدخل بسببها السجن.

إلا أن هذا السجين، الذي يبدو أنه لم يكن على قدرٍ من الوعي والوفاء، ما إن عاد إلى حياته الطبيعية ونال حريته، حتى نسي يوسف تمامًا. فعبر القرآن عن هذا النسيان بقوله: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾، ثم يضيف: ﴿فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾، ليُظهر أن يوسف بقي منسيًا لسنوات، دون أن يتحرك له أحد.

وقد اختلف المفسرون في الضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ﴾، هل يعود إلى يوسف عليه السلام، أم إلى الساقى؟ فالبعض، وخاصة من القدماء، رأى أن الضمير يعود إلى يوسف، أي أن الشيطان أنساه التوكل على الله، فالتجأ إلى غيره في طلب الفرج. لكن التدقيق في السياق يُرَجِّح أن الضمير يعود إلى الساقى، لأن الآية قبلها تشير إلى أن يوسف أوصى صاحبه بذكره، وجاءت بعدها آية تقول: ﴿وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾،

أي أن الساقى هو من نسي ثم تذكّر، وهذا هو السياق الطبيعي للضائر. لكن سواء عاد الضمير على الساقى أو على يوسف، فالثابت أن يوسف عليه السلام قد توّسل بغير الله في لحظة ضيق، لطلب الخلاص من السجن. وهذا النوع من التوسّل ليس غريباً أو مرفوضاً عند عامة الناس، بل يُعدّ ضمن نطاق الاستعانة بالأسباب العادية. غير أن المقاييس تختلف عندما يتعلق الأمر بمن بلغوا مراتب عالية من الإيمان والتوكل، كما هو الحال مع يوسف عليه السلام. فحتى هذا القدر من الالتجاء إلى غير الله، يُعدّ في حقه «تركاً للأولى»، وربما لهذا السبب قضى في السجن سنوات إضافية، جزاءً لهذا الالتفات.

وقد روي عن النبي محمد ص عليه السلام قوله:

«عجباً لأخي يوسف! كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق؟»،

كما جاء عنه أيضاً:

«لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث»، أي قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، يوضح المضمون الروحي العميق لهذا الموقف، حيث قال:

«جاء جبرئيل عليه السلام إلى يوسف فقال له: يا يوسف، من جعلك أحسن الناس؟
قال: ربّي.

قال: فمن حبّبك إلى أبيك دون إخوانك؟ قال: ربّي.

قال: فمن ساق إليك السيارة؟ قال: ربّي.

قال: فمن صرف عنك الحجارة؟ قال: ربّي.

قال: فمن أنقذك من الجبّ؟ قال: ربّي.

قال: فمن صرف عنك كيد النسوة؟ قال: ربّي.

قال: فإنّ ربّك يقول: ما دعاك إلى أن تُنزل حاجتك بمخلوق دوني؟ البث
بالسجن بما قلت بضع سنين».

إن هذا الموقف يوضح بجلاء كيف أن زيارة الأربعين.. والآثار المترتبة على
الزائرين عند تركهم العمل بالاوليترك الأولى» - وإن لم يكن معصية شرعية - قد تكون
له آثار تربوية وروحية على حياة الأنبياء، لما لهم من مقام القرب والمسؤولية الكبرى.
فالخطأ في حق القريبين من الله لا يُقاس بذات الميزان الذي يُقاس به على غيرهم، بل
تكون موازينه أدق، ومحاسبته أشد، لأنهم نماذج أعلى للناس، وكل التفات بسيط منهم
قد يكون درسًا بليغًا للأمم كاملة. (٢) (الحويزي، (د.ت)، ص. ٤١١)

العصمة لا تعني أن الأنبياء والأولياء معصومون قسريًا من الوقوع في المعصية،
وكان المعصية مستحيلة عليهم، بل معناها الحقيقي أنهم محفوظون عنها بإرادتهم
الواعية، واختيارهم الطوعي للحق، إضافةً إلى عناية الله الخاصة بهم، لما لهم من مقام
رفيع واستعداد روحي فريد.

لهذا كانوا يخافون من أدق مواطن الزلل، بل يخشون حتى من «ترك الأولى»،
أي التفريط في الأفضل، وهو ما يليق بمكانتهم ومسؤولياتهم الكبرى. ونلمس هذا
الخوف واضحًا في قول الله تعالى عن النبي الأعظم:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

وقد نقلت الروايات هذا المعنى أيضًا. فعن الإمام الصادق (عليه السلام):

«صليت خلف أبي عبد الله، فسمعتَه يقول: اللهم لا تؤمني مكرك، ثم جهر فقال: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾».

ويؤكد أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة هذا المعنى بقوله:

«لا تأمننَّ على خير هذه الأمة عذاب الله، لقول الله سبحانه: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾».

الخوف من مكر الله، في جوهره، ليس قلقًا من الظلم الإلهي حاشاه بل هو وعي عميق بثقل المسؤولية، وخشية من التقصير فيها. وقد بيّنت الروايات أن على المؤمن أن يكون دومًا في حالة توازن بين الخوف من الزلل والرجاء في رحمة الله، وأن هذا التوازن هو ما يبعث على اليقظة والجدّ في العبادة والعمل. وفي ضوء هذا الفهم، نأتي إلى الآية التالية التي يتحدث فيها الله سبحانه عن موقف النبي (صلى الله عليه وآله) من جماعة من المنافقين الذين جاؤوه يطلبون الإذن في التخلف عن معركة تبوك. مع أنهم قدموا أعدارًا ظاهرًا الصديق، وأقسموا للتبرير موقفهم، فإنهم كانوا في باطن الأمر كاذبين ومتهرّبين. وقد أذن لهم النبي (صلى الله عليه وآله)، فجاءه العتاب الإلهي مهورًا بالعمو:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾

[التوبة: ٤٣].

وقد تعددت آراء المفسرين حول هذا العتاب، فمنهم من ظن أن في الإذن مخالفة، ومنهم من رأى فيه فقط تركاً للأولى، ومنهم من بالغ فأساء إلى المقام النبوي الشريف. غير أن المتأمل المنصف يلاحظ أن الآية بدأت بالعفو الإلهي، قبل العتاب، مما يُشير إلى أن المسألة لم تكن ذنباً، بل هي إشارة لطيفة إلى أن ترك الإذن كان أولى، ليُعرف المنافقون في وقتٍ أسرع، خاصة وأن مشاركتهم لم تكن ستزيد المسلمين إلا اضطراباً، كما قال تعالى:

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧].

إذاً، فإذاً النبي لهم لم يُسبب ضرراً، بل كان فعلاً مباحاً في ذاته، غير أن الأصلح والأكمل في تلك اللحظة كان عدم الإذن. ولهذا يُحتمل أن العتاب من باب التوجيه التربوي، لا التأنيب، أو أنه من قبيل ما يُقال أحياناً بأسلوب المجاز: كأن تُعاتب من حال دون وقوع الظلم بقولك: «لم لم تدعه يفعل ما أراد؟» والمراد الحقيقي هو إظهار بشاعة الفعل لو حصل، لا نقد الحائل نفسه.

وقد يُثار هنا سؤال: ألم يكن النبي يعلم حال المنافقين؟ فلماذا يُعاتب على عدم انتظار تبين حالهم؟

والجواب أن النبي ﷺ كان يعلم عنهم علماً غيبياً، لكن الأحكام الشرعية لا تُبنى على علم الغيب، بل على القرائن الظاهرة والبراهين الحسية، وهنا يأتي دور الفعل الظاهري الذي يكشفهم للناس.

إن هذا العتاب الإلهي يُظهر مدى دقة الحساب الإلهي في سلوك النبي الأكرم ﷺ، لأنه ارتكب خطأ، بل لأنه اختار فعلاً جائزاً في موضع كان الأولى فيه فعلٌ آخر أكمل، مما يؤكد أن سلوك الأنبياء يُقاس بموازين الدقة القصوى التي تليق بمقاماتهم، وأنهم محطّ متابعة إلهية مستمرة، ليكونوا قدوةً في التوازن بين الرحمة والحزم، والعدل واللطف، والخوف والرجاء. (٣)

ثانياً: لم يكن المقصود من العتاب الإلهي للنبي ﷺ أن يبيّن له فقط حقيقة من استأذنه من المنافقين، بل قد يكون الغرض الأوسع أن تنكشف حال هؤلاء المنافقين أمام عامة المسلمين، وإن جاء الخطاب موجّهاً إلى النبي الكريم.

وفي هذا السياق، ينبغي التأكيد أن التوحيد لا يقتصر على الاعتقاد بأن الله واحد أحد، بل هو منظومة عملية متكاملة تتجلى في كل تفاصيل الحياة. وأهم ملامحه أن لا يتعلّق قلب الموحّد بغير الله، ولا يلتجئ إلا إليه وحده، وإن كان من الجائز شرعاً الالتفات إلى عالم الأسباب والعلل، إلا أنّ المؤمن الراسخ لا يرى لها تأثيراً مستقلاً، بل يدرك أنّها تابعة لإرادة الله، خاضعة لحكمه، لا تعمل بذاتها وإنما بإذنه.

ومن هنا، فإن غفلة الإنسان العادي عن هذا المستوى الدقيق من التوحيد قد تُتجاوز، ولكن إذا صدرت عن أحد أولياء الله، فإنها تكون محطّ عتاب أو عقوبة، ولو لم تكن إلا من قبيل «ترك الأولى». وقد رأينا مثلاً لذلك في قصة يوسف ﷺ، إذ إن لجوءه إلى أحد السجناء ليذكره عند الملك، رغم مشروعيته ظاهرياً، لم يكن في مستوى مقامه التوحيدي، فامتد به المقام في السجن سنين عدّة ليترقى من خلال الشدائد إلى كمال أعلى واستعداد أكبر لمواجهة الطغاة.

وهذا في ذاته درس بالغ الأهمية لكل السائرين على درب الحق، وخصوصاً المجاهدين في سبيل الله، أن لا ينخدعوا بوسائل البشر، ولا يهادنوا الطغاة أو يتحالفوا مع شيطان لهزيمة آخر، بل يسيروا بخطى ثابتة على صراط الله المستقيم، دون انحراف لا إلى الشرق ولا إلى الغرب.

وفي دعاء نبي الله نوح عليه السلام:

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾

نلمح في هذا الطلب شعوراً عميقاً بالمسؤولية أمام الله، كأنه يقول: «يا رب، وإن كنت قد قمت بواجبي في دعوة قومي طوال قرون، إلا أنني لا أبرئ نفسي من التقصير، فقد أكون قصّرت في إدراك بعض المصالح أو اغفلت بعض التفاصيل، فأطلب عفوك ومغفرتك».

وهكذا هو حال أولياء الله، يرون أنفسهم مقصرين مهما اجتهدوا، ويخشون التقصير في المسؤولية أكثر من خشيتهم من العذاب، فلا يصيبهم الغرور ولا يتفخرون بما أنجزوا، بخلاف من ينفخ في إنجاز سيره ويمنّ به على الله والناس.

ونوح عليه السلام حين طلب المغفرة، شمل دعاؤه فئات متعددة:

- نفسه، لشعوره بإمكان وقوع تقصير في أمر ما.
- والديه، تقديرًا لتضحياتهما في تربيته.
- من دخل بيته مؤمنًا، أي الذين آووه وساندوه وركبوا معه السفينة.
- جميع المؤمنين والمؤمنات، تأكيدًا على وحدة الصف الإيماني على امتداد الزمان.
- وختم دعاءه بطلب الهلاك للظالمين، جزاء ما اقترفوه من شر وفساد.

ثم تأتي قصة نبي الله يونس (عليه السلام)، والتي قال الله تعالى فيها:

﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾

تشير هذه الآيات إلى أن يونس (عليه السلام)، في لحظة ضيق واحتدام، قرر أن يترك قومه بعد أن يؤس من إيمانهم، وظنّ أن لا بأس عليه في تركهم، خاصة وقد بذل ما في وسعه في دعوتهم. غير أن الله عز وجل عاتبه على تركه «الأولى»، إذ كان الأنسب أن يصبر ويواصل دعوته، علّ قومه ينتبهون ويتوبون.

وكانت النتيجة أن ضاقت به الدنيا وابتلعه الحوت، وهناك، في ظلمات البحر والبطن والليل، أطلق نداء التوبة والانكسار، معترفاً بخطئه، فاستجاب الله له وأنقذه، وجعل نجاته نموذجاً لرحمته التي تشمل كل المؤمنين التائبين. (٣)

المطلب الرابع : أثر ترك العمل الأولى في السلوك التربوي والعقائدي للإنسان، خاصة المقرّبين عند الله

يُعدّ مبدأ «ترك العمل الأولى» أحد المفاهيم الدقيقة في الأخلاق الإسلامية، لا سيما حين يُنظر إليه من زاوية الوعي السلوكي والعقائدي. فهو لا يرتبط بالحلال والحرام على نحو مباشر، بل يتعلّق بالتمييز بين الجائز من جهة، وما هو أرجح وأقرب إلى رضا الله من جهة أخرى. وهذا النوع من التمييز لا يتطلّب عموم المكلفين فحسب، بل يتكشّف أثره التربوي والعقائدي بصورة أعمق عند من بلغوا درجات عالية من التقوى والصفاء، أي عند «المقرّبين» من عباد الله.

إنَّ العمل الأولى يعني أن يسلك الإنسان المسار الأسمى من بين مسارات مباحة عدّة، متجاوزًا بذلك حدود الكفاية الشرعية إلى آفاق الكمال الإنساني. أما ترك العمل الأولى وهو محور بحثنا فهو أن يترك العبد ما هو أرجح ثوابًا وأقرب للنية الإلهية، ويكتفي بما هو مباح أو جائز. هذا الترك، رغم أنه لا يُعد معصية ولا يُوجب عقوبة، إلا أنه قد يكون موضع عتب إلهي ولوم وجداني، خصوصًا في ساحة النفوس التي تطمح إلى الكمال.

المقربون من الله لا تقف علاقتهم برّبهم عند حدّ الامتثال الظاهري، بل يتعاملون مع لحظات الحياة جميعها كفرصٍ للترقيّ في حب الله، وابتغاء مرضاته، وتركيزية النفس، وخدمة الخلق، والسمو عن الأنانية. لذا فإنهم يشعرون بثقل في ضميرهم، بل وربما يعترضهم الألم الباطني، إذا وجدوا أنفسهم قد اختاروا ما هو أقل كمالًا، رغم أنه مباح، وتركوا ما هو أقرب للتعوى والفضل.

فالمعيار عند هؤلاء لا يتوقف عند قولهم: «هل هذا جائز؟» بل يتخطى إلى سؤالٍ أدقّ وأثقل: «هل هذا هو الأحب إلى الله؟» من هنا، يصبح ترك العمل الأولى اختبارًا دائمًا في وعي الإنسان، وتعبيرًا عن مستوى إدراكه لحقيقة العبودية. وكلما ارتفعت درجة العبد في سلّم القرب، ازدادت حساسيته تجاه هذه المراتب الدقيقة من التصرف، وتعمّق شعوره بالمسؤولية إزاء أدقّ التفاصيل.

وهنا تظهر القيمة التربوية الكبرى لهذا المفهوم: إذ لا يُصقل الوجدان الإيماني للإنسان إلا بهذه الرقابة الذاتية الدقيقة، التي لا تخضع فقط لضوابط الشرع، بل تنبثق من حضورٍ دائم لله في وجدان الإنسان وسلوكه. فالمحاسبة هنا لا تتم لأن الإنسان خالف حكمًا إلزاميًا، بل لأنه شعر في لحظة صفاء أنه فاته الأفضل، وأن قلبه لم يكن على القدر الأعلى من الحضور والاهتمام.

وهذه الحالة من الوعي لا تتولد فجأة، بل تتشكّل بالتدريج، من خلال الممارسة المستمرة للعمل الأولى ، ومحاسبة النفس على تركه، والتعلّم من لحظات التقصير، والحرص على ترميمها بنية خالصة في المستقبل. بهذا الشكل، يصبح العمل الأولى وسيلة لتربية الضمير، وليس فقط أداة لحساب العمل. كما يتحوّل «ترك الأولى» إلى علامة فاصلة تميّز بين النفوس التي تكتفي بالنجاة، وتلك التي تطمح إلى القرب.

وقد تُروى في هذا السياق مواقف عديدة عن الأنبياء والأولياء، الذين تأثروا بشدة بسبب تركهم للأولى، رغم أنهم لم يرتكبوا معصية، بل إن فعلهم كان مشروعاً. لكن علو منزلتهم وسمو وعيهم جعلهم يدركون أن علاقتهم بالله تقتضي اختيار الأفضل دائماً، حتى فيما لا يُطلب منهم وجوباً. وهذه الحالات ليست مجرد روايات تاريخية، بل نماذج تربوية تُبرز كيف يمكن لترك الأولى أن يكون باباً لمحاسبة النفس، ومحركاً نحو مراجعة النوايا، ومنطلقاً لترسيخ النزاهة الباطنية التي لا يراها أحد سوى الله.

وبذلك يصبح ترك العمل الأولى عاملاً جوهرياً في صناعة شخصية العبد المتقرب، لا من حيث الجزاء، بل من حيث مستوى التعلّق بالإرادة الإلهية، ومدى الشوق لتحقيق الرضا الإلهي المطلق. ومن هنا تتولّد الآثار العقائدية العميقة لهذا المبدأ، إذ إنّ إدراك مراتب الأفضلية، والسعي لاجتيازها، يكشف عن طبيعة العلاقة بين العبد وربّه، هل هي علاقة خوف من العقوبة؟ أم شوق إلى الرضا؟ وهل هي علاقة حدّها التكليف؟ أم أنّها تنفذ إلى أعماق المحبة والمراقبة والوفاء؟

وهذا المعنى يتجلّى بقوة في سلوك زائري الأربعين الذين رغم المشقة يُؤثر بعضهم غيره في النوم والماء والطعام والخدمة والمشي، دون أن يكون ذلك مفروضاً عليهم شرعاً، بل لأنهم يشعرون في أعماقهم أن العمل الأولى هو ما يليق بمقام

الخدمة الحسينية، ومقام الزائر الذي يمشي إلى الله من خلال الإمام. هكذا نرى أن «ترك العمل الأولى» ليس مجرد ترك لفعل مستحب، بل هو امتحان للنية، ومؤشّر على رقة القلب، وميزانٌ دقيق يُقاس به مدى التهذيب الروحي والعقائدي للإنسان.

المبحث الثاني:

السلوكيات الفردية التي تمثل أثر ترك العمل الأولى في زيارة الأربعين

هذا المبحث يتناول صوراً عملية من سلوكيات الأفراد التي رغم كونها غير محرّمة تمثل انحرافاً عن السلوك الأكمل والأفضل شرعاً وروحياً، وهو ما يُعرف في علم الأخلاق بـ «ترك العمل بالأولى»، وذلك ضمن السياق الخاص لزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

المطلب الاول : زيارة الاربعين

لقد أولى الأئمة المعصومون عليهم السلام لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام اهتماماً بالغاً، وعدّوها من الشعائر الكبرى التي ينبغي المحافظة عليها وإحيائها باستمرار. وقد أكثروا من الحث على زيارتها، ورغبوا شيعتهم في أدائها لما لها من أثر عظيم في ترسيخ الولاية وتثبيت القيم، فجاءت الروايات عنهم (عليهم السلام) مشحونة بذكر فضلها والثواب الجزيل المترتب على القيام بها.

ومن تلك الأحاديث ما رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام:

«مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين فإن إتيانه مفترض على كل مؤمن يقرُّ للحسين بالإمامة من الله عز وجل» (٤).

وفي حديث آخر عنه عليه السلام، حين سُئِلَ عن أجر من يزور الحسين، قال:

«يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تحف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك» (٥).

كما ورد في الروايات الماثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين أن الله سبحانه وتعالى عوّض الإمام الحسين عليه السلام بما يلي: أن جعل الشفاء في تربته، والإمامة في ذريته، واستجابة الدعاء عند قبره، جزاءً لتضحيته العظيمة. وتنقل بعض النصوص الحديثية أن الله يوجّه نظره إلى زوار الحسين في عشية عرفة قبل أن يلتفت إلى حجاج بيته الحرام، وهذا نابغ من أن الحسين عليه السلام صان حرمة الكعبة ولم يشأ أن تُراق الدماء فيها، كما جاء في قوله لابن عباس عند خروجه من مكة:

«يا ابن عباس لو لم أخرج هُتكت حرمة البيت».

ومن روايات الإمام الباقر عليه السلام أيضاً:

«إن الحسين قُتل مظلوماً، فألى الله أن لا يأتي قبر الحسين مظلوم إلا تكفل برد مظلمته، وإن الحسين قتل مهموماً حزيناً كثيراً، فألى الله أن لا يأتي قبر الحسين مهموم إلا فرّج عنه».

ولا تزال هذه الأحاديث وأمثالها تدفع بالشيعة في مشارق الأرض ومغاربها لشدّ الرحال إلى كربلاء، إذ حافظوا منذ استشهاد الحسين عليه السلام على صلتهم الروحية والوجدانية بهذه البقعة المقدسة. وكان دأب الأئمة عليهم السلام الدعاء لزوّار الحسين، ومما ورد في دعاء الإمام الصادق عليه السلام في سجوده، قوله:

«اللهم اغفر لي ولإخواني وزوّار قبر الحسين الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برّنا ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك» (٦).

(الحلي (د.ت)) وقد شهد التاريخ، ومنذ الأيام الأولى لاستشهاد الحسين (عليه السلام)، على حضور دائم ومتواصل لزواره في كربلاء. ويعبر عن ذلك قول الشاعر عقبة بن عمرو السهمي، أحد شعراء القرن الأول الهجري، الذي يُعدّ من أوائل من رثى الإمام الحسين (عليه السلام)، إذ قال:

| | |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| مررتُ على قبرِ الحسينِ بكربلا | ففاض عليه من دموعي غزيرُها |
| وما زلتُ أبكيه وأرثي لشجوه | ويسعدُ عيني دمُعها وزفيرُها |
| وبكيتُ من بعد الحسينِ عصائباً | أطافتُ به من جانبيه قبورُها |
| إذا العينُ قرّت في الحياةِ وأنتمُ | تحافونَ في الدنيا فأظلمَ نورُها |
| سلامٌ على أهلِ القبورِ بكربلا | وقلّ لها مني سلامٌ يزورها |
| سلامٌ بأصالِ العشي وبالضحى | تؤدّيه نكباءُ الرياحِ ومورها |
| ولا برحَ الوفادِ زوارِ قبره | يفوحُ عليهم مسكُها وعبيرُها |

وقد أجمع على نسبة هذه الأبيات كلّ من السيد محسن الأمين (١)، والطريحي (٢)، وسبط ابن الجوزي (٣)، مؤكدين أنها من أقدم ما قيل في رثاء الحسين (عليه السلام)، كما يشير البيت الأخير إلى أن زيارة قبره لم تنقطع منذ شهادته. ويقول الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري، في لوحته الخالدة «أمنت بالحسين»:

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| وظفتُ بقبرِكَ طوفَ الخيال | بصومعةِ الملهمِ المبدعِ |
| وخلتُ وقد طارتِ الذكريات | بروحي إلى عالمٍ أرفعِ |
| تلوذُ الدهورُ فمن سجدِ | على جانبيه ومن ركعِ |

وتبرز زيارة الأربعين كإحدى أبرز الزيارات التي شدد الأئمة عليهم السلام على إحيائها، حيث وردت روايات كثيرة في فضلها ومكانتها الخاصة. فقد نقل الشيخ النوري عن زرارة بن أعين، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسواد، والشمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، والملائكة بكت عليه أربعين صباحاً، وما اختضبت امرأة منا ولا أدهنت ولا اكتحلت ولا رجّلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة من بعده» (٤).

كما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قوله:

«إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً» (٥). (البيروني (د.ت) ص ٣٣١)

تعدّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين من أبرز الشعائر التي حظيت باهتمام كبير في التراث الشيعي، حيث وردت فيها روايات كثيرة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام تؤكد فضلها ومكانتها. ومن أشهر تلك الروايات ما نقل عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وقد ورد ذكرها في عدة مصادر، قوله:

«علامات المؤمن خمس: الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وصلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين» (٧). (المجلسي (د.ت)) أما الزيارة المعروفة باسم «زيارة الأربعين»، فقد وردت بطريقتين في النصوص المروية. الطريقة الأولى جاءت عن صفوان الجمال، حيث قال: «قال لي مولاي الصادق عليه السلام: تزور الحسين عند ارتفاع النهار تقول...»، ثم أورد الإمام الزيارة كاملة. أما الطريقة الثانية فقد نُقلت عن عطا عن جابر بن عبد الله الأنصاري، حيث قال عطا: «كنت مع جابر يوم العشرين من صفر، فلما وصلنا الغاضرية، اغتسل جابر في شريعتها، ولبس

ثوباً طاهراً، ثم قال لي: أمعك شيء من الطيب؟ قلت: نعم، فأخذ منه شيئاً فوضعه على جسده، ثم مشى حافياً حتى وقف عند رأس الحسين عليه السلام، وكبر ثلاثاً، وسقط مغشياً عليه، فلما أفاق، بدأ بقراءة الزيارة.

وقد أشار عدد من العلماء البارزين إلى منزلة زيارة الأربعين، واستندوا في ذلك إلى أحاديث الأئمة عليهم السلام. من هؤلاء العلماء الشيخ الطوسي، الذي بعد أن أورد عدة روايات في فضل الزيارة، تحدّث عن خصوصية يوم العشرين من صفر، مشيراً إلى رجوع حرم الإمام الحسين عليه السلام من الشام إلى المدينة، وورود جابر بن عبد الله الأنصاري إلى كربلاء، معتبراً أن زيارته هذه تُعدّ أول زيارة شعبية للإمام الحسين، وهو ما عُرف لاحقاً بـ«زيارة الأربعين». وقد أورد بعد ذلك حديث الإمام العسكري عليه السلام المذكور آنفاً.

ومن الجوانب البارزة لزيارة الأربعين، أنها لم تكن مجرد تذكير باستشهاد الإمام فحسب، بل جاءت أيضاً لاستحضار معاناة أهل البيت عليهم السلام بعد الواقعة، لا سيما السبايا، وما تعرضوا له من آلام ومحن، حيث تزامنت إقامة هذه الزيارة مع ذكرى رجوع الرأس الشريف من الشام إلى كربلاء، ودفنه إلى جانب الجسد الطاهر في يوم العشرين من صفر، وهو ما يُعرف شعبياً في العراق بـ«مرّدّ الرأس».

وتنقل الروايات أن السبايا، بعد خروجهم من الشام، طلبوا من الدليل الذي يقودهم أن يمرّ بهم على كربلاء، فاستجاب لهم، ووصلوا أرض المعركة بعد أربعين يوماً من وقوع الفاجعة، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجمعاً من شيعة أهل البيت، وكان اللقاء مشهداً مؤثراً اجتمعت فيه الدموع والنحيب.

وقد وثقت العديد من الكتب هذا الحدث المؤلم، ومن ذلك ما نقلته الدكتورة بنت الشاطي في وصفها للمسير من الشام إلى المدينة، إذ تذكر أن السيدة زينب عليها السلام طلبت من الدليل أن يعرّج بهم على كربلاء، فلبّى طلبها، وعندما وصلوا، وجدوها ما زالت ملطخة بدماء الشهداء، وأقمن عند القبر ثلاثة أيام يندبن ويكيين بحرقة لا تهدأ ولا تنقضي.

وتضيف بعض الروايات أن يزيد أمر بإعادة الرؤوس والسبايا إلى المدينة المنورة، وكان على رأسهم النعمان بن بشير الأنصاري، لكن عند مرورهم بأرض العراق، طلبت زينب أن يمرّوا بكربلاء، وهناك التقى الإمام زين العابدين عليه السلام مع جابر الأنصاري وبنو هاشم وبعض رجال آل الرسول، فعمّ الحزن، وأقيمت المآتم، واجتمع الناس من حولهم بالبكاء والنحيب.

أما عن تفاصيل زيارة جابر، فيذكر عطية العوفي الذي رافقه في رحلته، أن جابر، وقد كان قد فقد بصره، اغتسل في شريعة الفرات، وتطيّب، ولبس أطهر ثيابه، ولم يخطُ خطوةً إلا وذكر الله. وعندما اقترب من القبر، قال لعطية: «ألمسني القبر»، ففعل، فخرّ مغشياً عليه، فلما أفاق قال:

«يا حسين (ثلاثاً)... حبيب لا يجيب حبيبه! وأنى لك بالجواب، وقد شخبت أوداجك على أثباجك، وفُرّق بين بدنك ورأسك، أشهد أنك ابن خير النبيين، وابن سيد الوصيين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء...»، إلى نهاية النص المعروف.

ثم تقول الرواية: لاحظوا غباراً من بعيد، فعرفوا أن قوماً قادمون، وحين ذهب عطية لاستطلاع الأمر، عاد مسرعاً قائلاً: «يا جابر، هذا زين العابدين قد قدم بعمّاته

وأخواته، فقم لاستقبال حرم رسول الله». فنهض جابر حافياً، مكشوف الرأس، حتى التقى بالإمام زين العابدين (عليه السلام)، الذي أخبره بما جرى في كربلاء من قتل وسبي وهتك للخيام. ومن كلماته المؤثرة:

«يا جابر، هاهنا والله قُتل رجالنا، وذُبحت أطفالنا، وسُبيت نساؤنا، وحُرقت خيامنا».

ومنذ ذلك اليوم، أصبح العشرون من صفر مناسبة مشهودة، تُحيي فيها الملايين من المؤمنين هذه الذكرى الخالدة، وهم يتوافدون إلى كربلاء سيراً على الأقدام، مجددين العهد والوفاء، ومجسدين الحزن والولاء في أعظم مسيرة عرفها التاريخ.

لقد احتلت زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) منزلة عظيمة في الأحاديث النبوية وروايات الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، لما لها من آثار روحية وفضائل عظيمة. فقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ حديثٌ يخبر فيه عن استشهاد الحسين (عليه السلام)، ثم قال:

«من زاره عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة وألف عمرة، ألا ومن زاره فقد زارني، ومن زارني فكأنها زار الله، وحق على الله أن لا يعذبه بالنار، ألا وإن الإجابة تحت قبته، والشفاء في تربته، والأئمة من ولده» (٨). (ابن طاووس (د.ت)).

أما في روايات أهل البيت (عليهم السلام)، فقد وردت أحاديث كثيرة في فضل زيارة الإمام الحسين، منها ما رواه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم (البهائي، (د.ت)) (١٣).» كما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) تأكيده على وجوب زيارة الحسين على من يعتقد بإمامته، إذ قال: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين (عليه السلام)، فإن إتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين بالإمامة من الله عز وجل» (٩). (البحراني (د.ت)).

وفي تأكيد آخر على أهمية هذه الزيارة، قال الإمام الرضا عليه السلام:

«إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم»
(١٠). (المفيد (د.ت))

ومن الروايات الملفتة ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كان كمن حج مائة حجة مع رسول الله صلى الله عليه وآله».

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام، يكشف عن عظم أجر الزائر المشتاق إلى الإمام، إذ يقول:

«لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات...»، ويعدد الإمام في هذا الحديث ثواب من يزوره اشتياًقاً: ألف حجة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وألف صائم، وثواب ألف صدقة، وثواب ألف نفس أريد بها وجه الله...، ثم يُختم الحديث ببناء ينطلق قائلاً:

«هؤلاء زوار الحسين شوقاً إليه».

ومن بين الروايات التي تبرز فضل الإمام الحسين عند الله، ما جاء عن الإمام الرضا عليه السلام حين قال:

«من زار الحسين فقد حج واعتمر»، وحين سُئل عن إسقاط حجة الإسلام، أجاب:
«لا، هي حجة الضعيف حتى يقوى ويحج إلى بيت الله الحرام... وإن الحسين لأكرم على الله من البيت، ففي وقت كل صلاة، ينزل عليه سبعون ألف ملك شعث غبر لا تنتهي نوبتهم إلى يوم القيامة، وإن البيت يطوف به سبعون ألف ملك كل يوم».

وفي رواية أخرى عن زرارة، أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام عن من يزور الحسين خائفاً، فقال:

«يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن، هذا يومك الذي فيه فوزك».

كما روى ابن بكير عن الإمام الصادق عليه السلام:

أنه حين أخبره بنيته زيارة قبر الحسين رغم الخوف من السلطان والوشاة، أجابه الإمام قائلاً:

«يا ابن بكير، أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً؟ أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظل عرشه، وكان يحدّثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من أفراع يوم القيامة...» (١١). (الحلي (د.ت))

ويروى عن أبي سعيد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«ومن أتى قبر الحسين عليه السلام في سفينة فتكفت بهم سفينتهم، نادى مناد من السماء: طبتم وطابت لكم الجنة».

وفي حديث عن يونس بن ظبيان عن الإمام الصادق عليه السلام، يتضح أن حتى التقية لا تمنع الزيارة، بل يوصي الإمام الزائر قائلاً:

«إذا أتيت الفرات فاغتسل، ثم البس ثوبيك الطاهرين، ثم تمر بالقبر فقل: صلي الله عليك يا أبا عبدالله (ثلاثاً)... وقد تمت زيارتك».

أما روايات الأربعين، فقد تركزت على خصوصية هذا اليوم وأهمية زيارة الإمام فيه. ففي مستدرك الوسائل للنوري / ٢١٥، باب ٩٤، جاء عن زرارة بن أعين عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

«إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، والأرض بالسواد، والشمس بالكسوف والحمرة، والملائكة بكت عليه أربعين صباحاً... وما اختضبت منا امرأة، ولا اكتحلت، ولا دُهنّت، حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد...» (١٢). (الكاشاني (د.ت))

كما ورد مثله في كامل الزيارات / ٩٠، باب ٢٨، عن الإمام الباقر (عليه السلام):

«إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً».

وقد وردت روايتان أساسيتان للزيارة المعروفة في يوم الأربعين، إحداهما عن صفوان الجمال، حيث قال: قال لي مولاي الصادق (عليه السلام): «تزور الحسين عند ارتفاع النهار وتقول...»، ثم قرأ نص الزيارة.

والأخرى عن عطا عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال فيها:

«كنت مع جابر يوم العشرين من صفر، فلما وصلنا الغاضرية، اغتسل في شريعتها، ولبس قميصاً طاهراً، ثم قال لي: أمعك شيء من الطيب؟ قلت: سعد، فجعل منه على جسده، ومشى حافياً حتى وقف عند الرأس الشريف، وكبر ثلاثاً، ثم خرّ مغشياً عليه، فلما أفاق، قرأ الزيارة» (١٤) (القمي، (د.ت))

المطلب الثاني / آثار ترك العمل بالأولى في العلاقة مع الله

١. من الأولى على زوار أربعينية الامام الحسين إستذكار ان الحسين عليه السلام ضحى بنفسه واخوته وأولاده وأصحابه للحفاظ على الإسلام المحمدي الاصيل وان خروجه لم يكن لمصلحة دنيوية أو سياسية وإنما لغرض الإصلاح في أمة جده رسول الله.

أحد أهم أبعاد نهضة الإمام الحسين عليه السلام. أن يستحضر زائر الإمام الحسين هذا المعنى العظيم: أن الحسين لم يخرج لطلب سلطان أو جاه، بل خرج طلباً للإصلاح، وقدم نفسه وأهل بيته وأصحابه قرابين في سبيل حفظ الدين، وصيانة الإسلام من الانحراف والضياح.

حين يتوجه الزائر إلى كربلاء، فإن استذكار هذه الحقيقة يمنح زيارته بُعداً أعمق من مجرد العاطفة أو الحزن. لانه ارتباط روحي وعقائدي بمشروع إصلاح إلهي، قاده الإمام الحسين ليُعيد الأمة إلى نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويكشف زيف الطغاة الذين أرادوا تشويه الرسالة تحت غطاء الإسلام.

إن زيارة الإمام الحسين عليه السلام بهذا الوعي تعني تجديد البيعة له كمصلح وقائد رباني، وتعني أيضاً التزاماً بمبادئ ثورته: من رفض الظلم ونصرة الحق و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي للإصلاح في النفس والمجتمع.

أن من الأولى على الزائر الحسيني يجعل زيارته لحظة وعي وبصيرة، يُجدد فيها العهد مع الحسين بأن يكون من أنصاره على خط الإصلاح، قولاً وعملاً.

إن الإيمان العميق، والتضحية، والولاء، والوفاء، والوعي والبصيرة. هذه الصفات تجسد جوهر الزيارة الحسينية وتعكس الأثر العميق للإمام الحسين عليه السلام في قلوب محبيه.. وخلافاً لذلك سيفهم ضعفاء النفوس ان خروج الحسين طلباً للسلطة وإنه باع دينه بديناه. وحاشى إمامنا العبد الصالح المفترض الطاعة ان يقوم بذلك

٢. إن من الأولى والأجدر بالزائر إلى مرقد الإمام الحسين عليه السلام، أن لا يحرص زيارته في الإطار العاطفي فحسب، فعلى أهمية الجانب العاطفي وعمق تأثيره في تحريك الوجدان. لكن كربلاء ليست مجرد محطة للبكاء والمواساة، بل هي مدرسة للوعي والبصيرة، ومنبر للنهضة والإصلاح.

إن الحسين عليه السلام لم يُقدّم دمه ودماء أهل بيته وأصحابه إلا من أجل هدف سام: «الإصلاح في أمة جده»، والدفاع عن جوهر الإسلام المحمدي الأصيل. فزيارته، إذن، يجب أن تكون لحظة وعي يراجع فيها الإنسان موقفه من قضايا الحق والباطل، ويجدد فيها عهده بأن يكون من أنصار الحسين، لا بالشعار فقط، بل بالفعل والعمل، بالسير على خط الإصلاح، ومواجهة الظلم، وإحياء قيم العدالة والصدق والكرامة التي استشهد لأجلها الإمام.

فالحسين عليه السلام لا يُزار بالأقدام فقط، بل بالعقول والقلوب والمواقف أيضاً. وكل زائر يحمل هذا الوعي، يخرج من كربلاء إنساناً جديداً، يحمل رسالة كربلاء إلى العالم.

٣. إن من الأولى في مسيرنا في الاربعية أن لا نغفل عن أداء الصلاة في وقتها فليس من الصحيح ان تؤخر أو تترك، ففي الوقت الذي يسير فيه الزائر في طريقه للإمام الحسين عليه السلام، يستذكر إمامه ذاك الذي لم يترك صلاته حتى في قلب ساحة المعركة، وتحت وابل السهام والسيوف. فالصلاة كانت في عينه وعين أصحابه أهم من النجاة، لأنها كانت تمثل روح العلاقة بالله، ومفتاح القرب الإلهي، وعمود الدين.

في المشي لزيارة الحسين، وبين تلك الحشود المليونية، قد يتساهل البعض في أداء الصلاة بوقتها، بحجة الزحام أو التعب أو الانشغال بالمراسم. والسؤال هنا أي معنى للزيارة إذا غفلنا عن أول ما أوصى به الحسين، وأول ما قاتل من أجله؟!!

إن من أراد أن يكون في ركب الحسين، فليبدأ بالصلاة، لأنها أول تجلٍ للإصلاح الذي خرج من أجله. وليتذكّر أن الإمام الحسين عليه السلام صلى صلاة الخوف في واقعة الطف، وهو يعلم أن كثيراً من أصحابه سيسقطون شهداء أثناءها. فكيف بنا ننتهون في الصلاة، ونحن آمنون، زائرون، محبون؟! إن أثر زيارة بلا صلاة في وقتها، كجسد بلا روح، ومواساة لا تليق بمن جعل الصلاة شكراً لله على نعم لا تعد ولا تحصى.

٤. إن المشي في زيارة أربعينية الامام الحسين بهدف الاستعراض أو الرياء أو لطلب الثناء من الآخرين أو لمصلحة دنيوية. يخل بالعقيدة ويترك أثراً سيئاً في عيون الناس والمتابعين للزيارة. إن من الأولى ان تكون النية في وجهتنا للحسين من خلال مشينا خالصة لله بعيدة عن كل رياء يذهب بثواب العمل. هذا الطرح العميق يحمل وعياً ناضجاً لأهمية النية في الأعمال، خاصة في ما يتعلق بزيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، التي تُعدّ من أعظم الشعائر التي يُتقرب بها إلى الله عندما تتحول النية من طلب القرب إلى الله إلى طلب ثناء الناس أو تحقيق مصلحة دنيوية، فإن ذلك يُفقد العمل روحاً ومضموناً، ويُبعده عن غايته الحقيقية.

إن الرياء من آفات النفس التي حذر منها الإسلام، لأنها تُفرغ العمل من محتواه التعبدي، وتحوله إلى مجرد صورة خالية من الصدق والخشوع.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كل رياء شرك، إنه من عمل للناس كان ثوابه على

الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله.»

حين يرى المتابعون للزيارة أن هناك من يجعل من الشعيرة مظهيراً للتفاخر أو للبحث عن الشهرة، فإن ذلك يُشوه الصورة الحقيقية للزيارة ويعد أثراً سيئاً على الفرد أولاً، لكن الأثر السيء لهذا العمل قد يدفع البعض إلى النفور أو إلى إطلاق أحكام خاطئة على المسيرة كلها. وهنا تكمن الخطورة، لأن الرياء لا يضر فقط بصاحبه، بل قد يُسيء لجوهر القضية الحسينية.

إن المشي إلى الحسين يجب أن يكون خالصاً لوجه الله وتعبيراً عن الحب والولاء لأهل البيت (عليهم السلام) نسعى فيه لاستحضاراً للمبادئ التي ضحى من أجلها الإمام، لا لمكاسب شخصية.

إن زيارة الحسين (عليه السلام) فرصة عظيمة للتطهير الروحي، اجعل خطاك إليه منطلقاً من قلب صادق، لا من عين ناظرة، واحتسب كل تعبك عند الله وحده، فهو الذي يعلم السر وما يخفى.

٥. البُعد المعرفي والوعي الرسالي الذي ينبغي أن يرافق الزائر، لا سيما في ظل النظرة العالمية المتزايدة لهذه الشعيرة المباركة. إن زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ليست مجرد ممارسة شعائرية أو طقس جسدي، بل هي رحلة إيمانية ورسالية تستلزم وعياً وفهماً عميقاً لأهداف ثورة كربلاء. أن الإمام لم يخرج إلا ليُصلح أمة جدّه، ويُعيدّها إلى جادة الحق والعدل.

قال (عليه السلام): «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي.»

فما قيمة السير إليه، إن لم نعرف لماذا خرج؟ وما الذي ضحى من أجله؟ حين يسير الزائر دون معرفة، قد يُمارس الشعيرة بظاهرها، لكنه يغفل عن روحها. وهذا قد يؤدي إلى تحويل الزيارة إلى عبادة لا عبادة وفقدان التأثير العالمي للزيارة، لأنها ستختزل في مظاهر، لا في رسائل. تشوه الصورة الحقيقية للمشروع الحسيني أمام العالم، الذي بات يراقب هذا الحدث بدقة.

إن من أولويات الزائر أن يكون:

- عارفاً بحق الإمام الحسين (عليه السلام)، كما جاء في الحديث: «من زار الحسين عارفاً بحقه كان كمن زار الله في عرشه».
- مطلعاً على الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين منزلة الإمام الحسين ومظلوميته. متمسكاً بكلمات الأئمة من العترة الطاهرة، التي تُفسر الثورة وتُوجه المؤمن في طريقها.

إن زيارة الأربعين ليست فقط خطوات تمشيها الأقدام، بل هيوعي تحمله العقول، ورسالة تنبض بها القلوب. وكل زائر هو بمثابة سفير للحسين (عليه السلام) أمام أعين العالم، فلا يليق به أن يجهل الإمام الذي يقصده، ولا القضية التي ينتمي إليها.

٦. أن من الأولى لزوار الإمام الحسين (عليه السلام) عدم الانشغال بالهواتف ووسائل التواصل أثناء المسير؟ وإن استثمار أوقات الزيارة في الذكر والدعاء والتأمل في معاني الرحلة الإيمانية هو الأولى والأجدر، غير أن كثيراً من الزائرين ينشغلون بأمر دنيوية أو ترفيحية عبر هواتفهم، مما يُعد سبباً في الانصراف عما هو أنفع وأقرب إلى روح الزيارة. إن فهم حقيقة زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، خصوصاً مسيرة الأربعين التي تُعد من أعظم الشعائر القلبية والروحية في الإسلام.

إنّ الانشغال بالهاتف ووسائل التواصل أثناء هذه الرحلة الإيمانية قد يُفقد الزائر جوهر المقصد من الزيارة، وهو الارتباط الروحي بالإمام الحسين (عليه السلام)، وتجديد العهد مع مبادئه، والتأمل في معاني التضحية والحق والإصلاح. فالزيارة ليست مجرد حركة جسدية أو ترفيه عن النفس، بل هي سفرٌ إلى أعماق الذات، وفرصة لمراجعة النفس وتركيتها.

حين يضيع الزائر وقته في متابعة الرسائل أو تصفح وسائل التواصل، قد يتحوّل المسير من حالة «سُمُو» إلى حالة «غفلة»، وينصرف القلب عن الذكر والتأمل إلى الانشغال بما هو أدنى من غايته الكبرى. إن من الأولى استثمار الوقت في الذكر والدعاء: فكل خطوة في المسير يمكن أن تكون تسيحة، أو استغفارًا، أو صلاة على محمد وآله الطاهرين.

إن التأمل في معاني الثورة الحسينية: ما الذي قدّمه الإمام؟ ولأجل ماذا؟ وأين أنا من هذه المبادئ؟

إن التواصل مع الزائرين الآخرين بروح أخوية: فالمسير مدرسة للتكافل، والرحمة، والتواضع. في مقابل ذلك، لا يُمنع استعمال الهاتف إن كان للغرض الإيماني: كقراءة زيارة عاشوراء، أو بثّ محتوى ينفع الزوار، أو حتى توثيق المشاهد بنية نشر القيم الحسينية؛ لكن ما يُستنكر هو الانشغال المفرط الذي يقتل حالة الخشوع ويصرف العقل والقلب. إن الزيارة وُجدت لتوقظ القلب، لا لتشغله. ومن لم يُحسن استثمار هذا الوقت المبارك، فقد فاتته كثير من النور.

المطلب الثالث / آثار ترك العمل بالاولى في العلاقة مع الآخرين والبيئة الاجتماعية

١. ان من الأولى عدم إفراغ الزيارة من بعدها الثوري بل هي تجديد للبيعة لمشروع الإمام الحسين الاصلاحى للخلاص من الفساد والمفسدين في أمة جده رسول الله.. وإن فصل الدين عن الدولة وعدم الاهتمام بشؤون الأمة يقلل من قيمة الثورة الحسينية التي حرصت على إستقامة الدين وعدم بيعة الظالم والمفسدين.. وإن التضحية والفداء والشهداء خير من الحياة مع المفسدين.

إن الثورة الحسينية التي تحمل في طياتها رسائل إصلاحية وثورية تتجاوز بعدها التاريخي إلى واقعنا المعاصر. من المهم أن نعي أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليست مجرد مناسبة دينية تقليدية، بل هي تجديد للبيعة والالتزام بمشروعه الإصلاحى الذى يتجاوز مفهوم الدفاع عن الحق في واقعة الطف، بل يشمل تجديد العهد للعدالة والإصلاح في الأمة.

إن "فصل الدين عن الدولة" يقلل من قيمة الثورة الحسينية، لأن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن فقط يقاتل من أجل الحق في معركة ضد الظلم، بل كان يسعى لقيام دولة العدل الإلهي التي تقوم على القيم الإسلامية الحقيقية التي ترفض الظلم والفساد، والتي تأخذ من الدين منهجاً للحكم، حيث كان رفضه للبيعة ليزيد هو رفض لنظام فاسد لا يمت للعدالة بصلة.

إن الإمام الحسين لم يقاوم فقط من أجل الحماية الشخصية أو مكاسب فردية، بل من أجل الأمة بأسرها، وكانت رسالته وأصحابه في كربلاء يوم الظم ورسالة ولده إمامنا زين العابدين في مجلس الطاغية يزيد خير دليل على مقاومة الظلم والطغاة

على كل المستويات، سواء كانت سياسية أو اجتماعية. ولذلك، فإن التضحية والفداء التي قدمها الحسين وأصحابه هي تجسيد لهذا المعنى، وهي خير من حياة تحت حكم الظالمين والمفسدين، الذين لا يراعون الدين ولا مصالح الأمة.

ولعل كلمات الحوراء زينب عليها السلام خير دليل على الصمود والتحدي والوقوف بوجه وهي تقول للطاغية يزيد: (فِكِدْ كِيدَك، وَاَسَعْ سَعِيكَ، وَنَاصِبْ جِهْدَكَ، فَوَاللَّهِ لَا تَمَحُو ذِكْرَنَا، وَلَا تُمَيِّتْ وَحِينَا، وَلَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا، وَلَا تَرَحُّصْ عَنكَ عَارَهَا، وَهَلْ رَأَيْتَ إِلَّا فَنَدَ، وَأَيَّامَكَ إِلَّا عَدَدَ، وَجَمْعَكَ إِلَّا بَدَدَ!!) يوم ينادي المنادي: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظالمين) تلك الكلمات النورانية التي أصبحت نبراساً وشعاراً لكل الأحرار في العالم

إن التركيز على القيم الإصلاحية التي سعى إليها الحسين يجب أن تكون جزءاً أساسياً من فهمنا لزيارته وتعظيم ذكره، فكل زيارة للحسين عليه السلام هي تأكيد لهذا الالتزام المستمر بتجديد البيعة لمشروعه الإصلاحية.

٢. ان من الأولى لزوار أربعينية الامام الحسين عليه السلام عدم الإكثار من الطعام والشراب وعدم الحديث بغير ذكر الله والابتعاد عن المحارم بمختلف أشكالها وصورها.. مع الهيبة والوقار في المشي أو الجلوس.. في الملابس أو المأكل.. بل ضرورة تدبر قراءة القرآن وتدبر معاني الزيارة والأحاديث بهذا الخصوص . هذا السلوك يعبر عن وعيٍ روحي وأخلاقي عميق بمقاصد الزيارة الحسينية، خصوصاً في الأربعين، التي ليست مجرد مسيرة جسدية بل رحلة معنوية تتطلب تهذيب النفس والروح.

إن الزيارة سلوك روحي لا مجرد طقس ظاهري فالغاية من زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليست مجرد الوصول إلى القبر الشريف، بل هي تجديد عهد الولاء، واستذكار رسالة الإمام التي هي «إصلاح الأمة»، كما قال: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي». فهل يعقل أن يخرج الزائر لزيارة مصلح الأمة، وهو غافل عن الإصلاح في نفسه ولسانه وسلوكه؟

وبالرغم من كرم المواكب، لكن من الأولى أن يُقابل هذا الكرم بالشكر لا بالإسراف، قال تعالى: «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين». الزائر ينبغي أن يتزود بالنية الخالصة، لا بالطعام فقط.

إن الزيارة فرصة ذهبية لذكر الله والتأمل في مصير الإنسان. لأن كثرة الكلام بلا فائدة تفقد القلب رفته، وجو الزيارة ينبغي أن يكون محفوفاً بالذكر والتسبيح والقرآن، لا بالضحك والمزاح الذي يُذهب أثر المشي ومشقة الطريق.

إن الهيبة والوقار في الحديث والمظهر والسلوك تعكس عظمة المقصود، وهو الإمام الشهيد الذي قُتل عطشاً مظلوماً من أجل أن نحيا نحن بعزة وكرامة. إن الوقار في الزيارة هو جزء من إظهار الحزن والاحترام لمقام الإمام وأهل بيته الطاهرين.

مع ضرورة ان يضع الزائر ان لا معنى لقراءة النصوص دون تدبر. لأن زيارة الأربعين تحمل مضامين عقائدية وتاريخية وأخلاقية عميقة، والقرآن الكريم هو كتاب الثورة والهداية، لا مجرد تلاوة. ومن الواجب على الزائر أن يجعل له وقتاً يتدبر فيه مضامين هذه النصوص، لتترسخ في وعيه وتتحول إلى سلوك.

إن زيارة الأربعين مدرسة أخلاقية وروحية متكاملة، ينبغي أن يظهر أثرها على الزائر في كل تفصيل: في نيته، مشيئته، حديثه، لبسه، وسلوكه. ومن المؤسف أن تُفرغ هذه الزيارة من مضمونها الرسالي فتتحول إلى عادة موسمية بلا فكر أو روح. فليكن شعار الزائر: «إن لم يكن بدني في كربلاء، فليكن قلبي وسلوكي حسينياً في الطريق إليها.

٣. أن من الأولى لزوار أربعينية الامام الحسين عليه السلام رفع شعار هيهات منا الذلة بوجه الطغاة والمستكبرين.. وعدم الصمت تجاه قضايا الأمة المصرية مثل تجاهل الظلم المعاصر، أو عدم الاهتمام بقضية فلسطين، أو قمع الشعوب، مع أن الحسين عليه السلام خرج ضد الظلم والطغيان

إن هذا الموضوع في غاية الأهمية ويُلامس جوهر النهضة الحسينية، وأثرها في الواقع المعاصر. من المعلوم أن خروج الإمام الحسين عليه السلام لم يكن لمجرد الاعتراض على واقع سياسي محدود، بل كان نهوضاً ضد الظلم بكل صورته، وضد الطغيان والانحراف عن مبادئ الإسلام والعدالة الإلهية.

إن شعار «هيهات منا الذلة» ليس مجرد هتاف.. إن رفع هذا الشعار في أربعينية الإمام الحسين عليه السلام يجب ألا يكون مجرد طقس شعائري، بل إعلان موقف عملي يُترجم إلى سلوك وموقف تجاه مظالم العصر. فالصمت عن القضايا المصرية، مثلاً لظلم الواقع على الشعوب المستضعفة، وخصوصاً في فلسطين، أو تجاهل الاستبداد، أو عدم مناصرة المظلومين، يتنافى مع ثورة الحسين في الإصلاح والتغيير. إن الإمام الحسين عليه السلام علمنا أن السكوت عن الظلم مشاركة فيه.

وإن الحياد في قضايا الحق والباطل انحياز ضمني للطغيان. وإن الولاء الحقيقي لأهل البيت عليهم السلام لا يكون باللسان فقط، بل بالانتصار لقيمهم ومبادئهم.

إن أربعينية الحسين: فرصة للتجديد لا التكرار فقط حيث يأتي ملايين الزائرين مشياً على الأقدام في أربعين الإمام الحسين، وهم يحملون في قلوبهم حب الحسين وولاءهم له. ولكننا لم يُترجم هذا الولاء إلى رفض فعلي للذلة والظلم والاستكبار، فإننا قد نحصر كربلاء في التاريخ بدل أن نجعلها مشروعاً حياً. فكيف يعقل أن نهتف «هيهات منا الذلة» بينما: نصمت عن قضايا الأمة المصيرية، كقضية فلسطين المحتلة؟ وكيف نتغاضى عن أنظمة تقمع شعوبها وتنهب خيراتها؟ كيف نساي بين الجلاد والضحية في المواقف الدولية أو الإعلامية؟

إن من الأولى بل من الواجب على زوار الأربعين أن يجددوا بيعتهم للإمام الحسين عليه السلام برفض الذلة والسكوت عن الظلم المعاصر، وأن يكونوا صوتاً صريحاً في مواجهة المستكبرين، داعمين لقضايا الأمة، لا سيما فلسطين، التي هي اليوم مقياس حقيقي للانحياز للحق أو الخنوع للباطل.

وكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا زيناً لنا، ولا تكونوا شيناً علينا». فلنُكرّم كربلاء ومن فيها بأن نعيش ونجسد ثورة الحسين قولاً وعملاً، بأن نترجم ثورة الحسين إلى منهج حركي يقودنا في الحياة.

٤. إن من الأولى لزوار الأربعين عدم رمي نفايات الطعام والمشروبات إلا في الأماكن المخصص لها وعدم رميها في الطريق أو تحت أقدام الزائرين بعد الانتهاء منها. فالعمل بالأولى يدفعنا إلى التفكير ببيئة نظيفة مستدامة من خلال الحفاظ على

نظافة الطريق إلى كربلاء كجزء من احترام الطريق وزوّاره لأن الإيمان لا ينفصل عن السلوك المدني المتحضر.

إن قيامكم بهذا العمل يعكس وعياً بيئياً وأخلاقياً راقياً، ويمكن صياغته بشكل تعبيرى مؤثر وكما يلي:

إن الاهتمام بنظافة طريق الأربعين سلوك إيماني وحضاري في مسيرة الأربعين، فهذا العمل يجسّد القيم الروحية بأسمى صورها.

إن من الأولى أن يحرص الزائرون على عدم رمي مخلفات الطعام والمشروبات في غير الأماكن المخصصة لها. فترك النفايات في الطريق أو تحت أقدام الزائرين لا يليق بمقام هذه المسيرة المباركة، ولا يعكس روح الاحترام التي نكّنها للإمام الحسين عليه السلام وزوّاره.

إن العمل بما هو أولى لا يقتصر على العبادات فحسب، بل يشمل سلوكنا اليومي أيضاً، ومنها المحافظة على البيئة التي نسير فيها. حين نحافظ على نظافة الطريق إلى كربلاء، فإننا نكرّم هذه الشعيرة، ونعبّر عن إيماننا بسلوك مدني متحضر. فالإيمان الحقيقي لا ينفصل عن الالتزام الأخلاقي، ولا عن احترام الإنسان والمكان.

لنجعل من نظافة الطريق جزءاً من العزاء، ومن احترام البيئة لغةً ناطقة بحب الحسين، فكل خطوة نظيفة تقرّبنا أكثر من أهداف هذه المسيرة: الإصلاح، والوعي، والمحبة.

٥. إن من الأولى لزوار اربعينية الإمام الحسين عليه السلام قضاء حواج الزائرين قدر المستطاع قولاً أو عملاً مادياً أو عملياً وذلك من خلال تقديم يد المساعدة للشيخ الكبير أو الطفل الصغير أو المرأة العجوز أو ذوي الإحتياجات الخاصة.. أو مساعدتهم في مسيرهم أو جلوسهم أو بتوفير واسطة النقل لهم. لا بل توجيههم أو تثقيفهم بالزيارة وقراءة الأدعية وزيارة الاربعين لهم إذا تطلب الأمر.

إن زيارة الأربعين ليست مجرد مسيرة جسدية نحو كربلاء، بل هي قبل كل شيء مسيرة روحية وأخلاقية نحو القيم التي جسدها الإمام الحسين عليه السلام، وعلى رأسها: الإيثار، الخدمة، المحبة، التضحية، والكرامة الإنسانية.

إن من الأولى شرعاً وأخلاقاً قضاء حوائج الزائرين، ومساعدة الآخرين بكل صورها، سواء كانت مادية أو معنوية، يُعد من أفضل القربات في هذا الطريق المبارك. فخدمة الزائرين، خصوصاً الضعفاء منهم (كالمسنين، الأطفال، النساء، وذوي الاحتياجات الخاصة)، هي امتداد لنهج أهل البيت عليهم السلام الذين أو صواباً بالتعاون، والإحسان، وخدمة المؤمنين. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«من قضى لأخيه المؤمن حاجة، كان كمن خدم الحسين عليه السلام في زيارته.»

إن من أمثلة على صور المساعدة في الزيارة:

- بدياً: كحمل أمتعة كبار السن، أو دفع عربة لطفل أو معاق، أو تقديم الطعام والماء لمن أنهكه التعب.
- معنوياً: كالتوجيه الصحيح للمسار، أو قراءة الأدعية نيابة عنهم، أو التثقيف الديني لمن لا يعرف الكثير عن الزيارة.

- تنظيمياً: كإعطاء الأولوية في وسائل النقل، أو توفير مكان للراحة أو النوم، خاصة لمن يعانون من التعب أو المرض.

- روحياً: عبر التشجيع على نية القربى، وتذكيرهم بأن كل خطوة في هذا الطريق هي في ميزان الحسنات.

إن زيارة الأربعين ليست فقط السير إلى الحسين، بل أن نسير بروحه، وسلوكه، ومبادئه. وما أجمل أن تُترجم حُبنا للحسين عليه السلام إلى أفعال رحيمة تخفف عن الزائرين وتُقربنا من الله تعالى ومن أهل البيت عليهم السلام.

٦. إن من الأولى على زوار أربعينية الامام الحسين عليه السلام والقائمين عليها ان ينقلوا صورة مشرفة لجميع وسائل الإعلام والتواصل مع جميع شعوب العالم من خلال سعيهم لإعلاء كلمة الله ورفضهم ومواجهتهم للظلم والفساد والطغاة والمستكبرين وإستحضار منهج وفكر أهل البيت عليهم السلام الذي يجسد مشاهد المحبة والسلام وكرم الطيافة.. وحسن الخلق وقضاء حوائج الناس وإن الإنسانية جمعاء ترتبط بها ونقف معهم فكل منهم كما قال أمير المؤمنين إما أخ لنا في الدين أو نظير لنا في الخلق.

إن الزوار الذين يتوافدون على أربعينية الإمام الحسين عليه السلام هم بمثابة رسل حاملين رسالة عظيمة تُعبر عن معاني التضحية والفداء. وإن مشاركتهم في هذه المناسبة ليست مجرد أداء مراسم، بل هي فعلٌ عميق يعكس رفضهم للظلم، ومواقفهم الثابتة في مواجهة الطغاة والمستكبرين. هؤلاء الزوار هم من يجسدون أسمى معاني الإنسانية، حيث يكونون سفراء لقيم الحق، العدل، والمساواة في كل أنحاء العالم.

وما يميز هذه المناسبة هو أنها ليست فقط تجمعاً عاطفياً أو روحانياً، بل هي أيضاً رسالة عملية وواقعية. فعندما يشارك هؤلاء الزوار في مسيرة الأربعين، فهم يقدمون نموذجاً حياً لمجتمع يتضامن مع المظلومين ويعلي كلمة الله من خلال السعي للعدل ورفض الظلم في كل صورته. هم يُظهرون للعالم أجمع كيف يمكن للإنسان أن يتحمل المشاق، ويناضل من أجل قيمه، ويؤثر في الآخرين بتواضعه وأخلاقه.

إن الإمام الحسين عليه السلام قدّم لنا عبر حياته رسالة عن كيفية مواجهة الطغيان حتى وإن كانت التضحيات كبيرة. وكما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»، فإن هذه المقولة تلخص معنى الأخوة الإنسانية التي تتجسد في تعامل زوار الأربعين مع بعضهم البعض ومع جميع الناس بغض النظر عن خلفياتهم أو معتقداتهم.

ولذلك، من خلال هذه الحشود الكبيرة التي تأتي من شتى بقاع الأرض، يُظهر هؤلاء الزوار أنهم لا يقتصرون على إحياء ذكرى حادثة تاريخية فقط، بل هم أيضاً يرسخون منهج أهل البيت عليهم السلام في قلوبهم وعقولهم، ليصبحوا مثلاً يُحتذى به في كل مكان. هم يُعلون كلمة الله، ويبعثون رسالة مفادها أن الإنسانية جمعاء يمكنها أن تتحد من خلال القيم المشتركة التي تجمعنا جميعاً. وإن جميع المؤمنين وكل الأحرار في العالم يمكنهم رفع شعار كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة حتى تقرأ عيننا بدولة العدل الإلهي على يد الموعود المنتظر فيملاً الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وهكذا يتضح من خلال المبحث الأول وما توصلنا إليه في المبحث الثاني، أن «ترك العمل بالأولى» ليس مفهوماً هامشياً في المنظومة الإسلامية، بل هو مبدأ جوهرى يُسهّم في تشكيل الضمير الديني والوعي السلوكي عند الإنسان، خاصّةً في محافل تعبديّة عميقة كزيارة الأربعين. وقد أظهرت النصوص الدينية أن هذا المفهوم

كان محلّ اهتمام بالغ في سيرة الأنبياء والأئمة، الذين راقبوا أنفسهم بدقة في كل خيار وإن لم يكن محرّمًا لأنهم كانوا يرون في «الأولى» ميزانًا للكمال، لا مجرد نقيض للذنب. تظهر زيارة الأربعين باعتبارها مشهداً روحياً واجتماعياً فريداً، كيف أن التفريط في العمل بالأولى قد يُضعف من أثر هذه الشعيرة، أو يحجب عن الزائر درجات من الثواب والقرب، كان يمكن أن ينالها لو اختار ما هو «أرجح» في سياق العبادة أو الخدمة أو التضحية أو الإيثار. فالمسألة لا تتعلق فقط بفعلٍ جائز أو مباح، بل تتعلق بنمط النوايا، وترتيب الأولويات، والوعي بالمقاصد.

إن إدراك هذه الفوارق الدقيقة بين الجائز والأولى، وتحويلها إلى وعي سلوكي حيّ داخل تجربة الزيارة، هو ما يُعيد للحسينيّات والمواكب والزائرين رسالتهم الأصلية: الإصلاح، الإيثار، وتقوية العلاقة بين الفرد وربّه على أساس ما يُحبّه الله، لا فقط ما لا يُجرّمه. وهكذا، تتجاوز زيارة الأربعين الطابع الطقوسي، لتتحوّل إلى «مدرسة عملية» لصناعة الإنسان الربّاني، الذي لا يكتفي بالصواب، بل يسعى للأفضل دائماً.

الخاتمة

تمثّل زيارة الأربعين للإمام الحسين (عليه السلام) مناسبة إيمانية وروحية عميقة تُحيي في نفوس الزائرين معاني الإيمان بالله، والالتزام بالإسلام المحمدي الأصيل، واستحضار أهداف نهضة الإمام الحسين في إصلاح الأمة ورفض الفساد والظلم والطغيان. غير أن بعض السلوكيات التي تصدر عن بعض الزائرين، كترك العمل بالأولى، من خلال التهاون في أداء الفرائض كالصلاة في أول وقتها، والانشغال بلهو الحديث، أو ممارسة تصرفات لا تليق بجلال المناسبة، قد تُضعف الأثر الحقيقي لهذه الشعيرة في الوعي الفردي والجماعي، وتفقدتها بعدها الرسالي في المجتمع والامة.

لذا فإن من الواجب على الزائرين، وهم يجددون العهد مع الإمام الحسين (عليه السلام)، أن يستحضروا مقاصد نهضته، ويترجموها عملياً بالتمسك بالتقوى، ورفض الظلم والفساد، ونصرة المستضعفين، والسعي لإصلاح الذات والمجتمع. إن الحفاظ على هنية زيارة الأربعين ومكانتها، يتطلب وعياً رسالياً يربط بين الشعيرة والغاية، وبين الزيارة والعمل الصالح، فتكون هذه الزيارة حافزاً حقيقياً للسير على نهج الإمام الحسين (عليه السلام) في بناء الإنسان الواعي الحر الملتزم بدينه وقضيته.

المصادر

١. البحراني، هاشم. (بدون تاريخ). تفسير البرهان (ج. ٢، ص. ٢٤٣). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٢. البحراني، يوسف. (بدون تاريخ). الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، باب الزيارات بعد الحج. قم: مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام).
٣. البيروني، أبو الريحان. (بدون تاريخ). الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص. ٣٣١ [تحقيق: إدوارد زاخاو]. بيروت: دار الكتب العلمية.
٤. البهائي، بهاء الدين العاملي. (بدون تاريخ). توضيح المقاصد الأربعين. قم: دار الذخائر.
٥. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان. (بدون تاريخ). مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة [تحقيق: محمد باقر المحمودي]. بيروت: دار المفيد.
٦. الفيض الكاشاني، محسن. (بدون تاريخ). تقويم المحسنين [ضمن مجموعات أدعية وزيارات]. أصفهان: مكتبة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

٧. الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر. (بدون تاريخ). المنتهى، كتاب الزيارات بعد الحج. بيروت: منشورات دار الأضواء.
٨. الحلي، العلامة. (بدون تاريخ). التذكرة في الفقه، والتحرير في الفقه. بيروت: منشورات دار الأضواء.
٩. العروسي الحويزي، عبد علي. (بدون تاريخ). تفسير نور الثقلين (ج. ٢، ص. ٤١١). قم: منشورات إسماعيليان.
١٠. القمي، عباس. (بدون تاريخ). مفاتيح الجنان. قم: منشورات جماعة المدرسين.
١١. المجلسي، محمد باقر. (بدون تاريخ). بحار الأنوار، باب فضل زيارة الحسين (ع) يوم الأربعاء. بيروت: مؤسسة الوفاء.
١٢. مكارم الشيرازي، ناصر. (بدون تاريخ). الأمل في تفسير كتاب الله المنزل (٢٠ مجلد). قم: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (ع).
١٣. الطوسي، محمد بن الحسن. (بدون تاريخ). التهذيب (ج. ٢، ص. ١٧، باب فضل زيارة الحسين (ع)) [تحقيق: حسن الموسوي الخرسان]. قم: مؤسسة النشر الإسلامي. نقلاً عن: مصباح المتعجب، ص. ٥٥١.
١٤. ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى. (بدون تاريخ). إقبال الأعمال. قم: منشورات دار الكتب الإسلامية.